African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 2, Issue 2, April-June 2023, Page No: 692-699
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index
Arab Impact factor 2022: 1.04 SJIFactor 2023: 5.58 ISI 2022-2023: 0.510

الأوضاع السياسية في غرناطة بعد معركة الزلاقة 479 هـ

م.د. همسة صالح عبد القادر محمود *
مركز الكرخ الدراسي، الكلية التربوية المفتوحة، بغداد، العراق

The political situation in Granada after the Battle of Zallaqa 479 AH

Dr. Hamsa Saleh Abdulqader*
Al-Karkh Study Center, Open Educational College, Baghdad, Iraq

*Corresponding author saef1990@yahoo.com *المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2023-05-01 **تاريخ القبول:** 2023-06-07 **تاريخ النشر:** 2023-06-21

الملخص
أن الحديث عن الأوضاع السياسية للأندلس بعد معركة الزلاقة طويل وقد لخصته في بحثي هذا الى مرحلتين الأوضاع في عصري الطوائف و المرابطين والموحدين لان الأندلس قسمت لدويلات الطوائف باتجاه الممالك الإسبانية والمؤثرات في هذه السياسة من كلا الطرفين الإسباني ودويلات الطوائف ، فجزيرة الأندلس منذ الفتح الإسلامي كانت موطنا لطرفين مختلفين في الديانة والثقافة والأصول العرقية ,متمثلين في المسلمين للأندلس والنصارى في ممالك الشمال جهة أخرى، ولم تتوقف هذه السياسة على العرق أو الدين أو المبدأ وإنما كان الصراع بين هاتين الدولتين صراع للأقوى، فلم تكن علاقات دويلات الطوائف مقتصر على الغزوات والحروب ,بل كانت هناك مصاهرات ومعاهدات، بالإضافة الى تحالفات بين النصارى ودول الطوائف.
والمستفيد من هذه السياسة التي اتبعها هؤلاء الأمراء من الأسرة الواحدة هم النصارى بما غنموه من القافلة، بالمقابل الخسائر الفادحة التي تكبدها المسلمون من قتلى وأموال، وما هي إلا صورة لحالة التفكك والانقسام التي وصل اليها حال المسلمين في هذه الفترة، وان هذه المدن الثغرية وجب عليها ان تكون مواقع لحماية بقية المدن الأندلسية لا بداية التفكك ونهب الخيرات والأموال وإزهاق الأنفس في الأندلس.

الكلمات المفتاحية: غرناطة، معركة الزلاقة، الأندلس، الأوضاع السياسية.

Abstract
The talk about the political situation of Andalusia after the Battle of Zalaqa is long, and I summarized it in my research into two phases, the situation in the era of the sects, the Almoravids, and the Almohads, because Andalusia was divided into the sectarian states towards the Spanish kingdoms and the influences in this policy from both the Spanish parties and the sectarian states. Since the Islamic conquest, the island of Andalusia was home for two different parties in religion, culture and ethnic origins, represented by the Muslims of Andalusia and the Christians of the northern kingdoms on the other side. This policy did not depend on race, religion or principle, but rather the conflict between these two states was a struggle for the strongest. The relations of the sect states were not limited to invasions and wars. Rather, there were affinities and treaties, in addition to alliances between Christians and sect states.

Keywords: Granada, the Battle of Zallaqa, Andalusia, the political situation.

التمهيد

مرت الأوضاع السياسية في الأندلس بعدة مراحل من الضعف السّياسي الذي بدأ منذ عصر ملوك الطّوائف، لاسيّما بعد معركة الزلاّقة (479 ه/ 1086م) التي حققت انتصار للمسلمين وبعد جواز يوسف بن تاشفين أمير المربطين من المغرب إلى الأندلس أخرت سقوطها، إلاّ أنّ موقعة العقاب (609 ه/ 1212 م) زمن الموحّدين -التي هزم فيها المسلمون- كانت نذير انحلال الجبهة الأندلسيّة، وأدّت إلى تتابع سقوط المدن الأندلسيّة بصورة مطّردة، فلم تأت نهاية القرن السّابع الهجري، إلا وقد سقطت معظم مدن الأندلس[1].

واجتمع نهض العلماء لأخذ دورهم في الحياة السياسية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، وتجلى ذلك الدور في تأثيرهم على سياسة الحكم، ويعزى نجاحهم ذلك إلى التأييد الذي حصلوا عليه من أفراد المجتمع الأندلسي، لأنهم نظروا إليهم كحماة للدين والحريصين على وحدة ومصالح المسلمين، إلا أن أولئك العلماء انقسموا إلى قسمين:

الأول: وقف إلى جانب الحق والعدل، والعمل على الوحدة والمصلحة الإسلامية، والثاني: وقف إلى جانب من يستأثر بالحكم لتحقيق بعض المنافع الذاتية، وبقي هناك فئة لا مع هؤلاء ولا مع أولئك.

أما الحكام فكانوا على وعي تام لأهمية هؤلاء العلماء، فقربوا إليهم البعض لإسباغ الشرعية على حكمهم، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث لتسليط الضوء على الأدوار التي لعبها العلماء وكثرة الخلافات والأطماع لملوك الطوائف، مع اشتداد الأزمات الداخلية والتهديدات الخارجية المتمثلة في ممالك الشمال النصراني، التي بدأت تُعِد العدة لاحتلال الأندلس، و القضاء على الوجود الإسلامي فيه[2].

فبعد المعركة رجب سنة 479هـ/ 23 تشرين الأول (أكتوبر/ 1086م) اشتبك الطرفان في معركة الزلاقة الشهيرة التي أسفرت عن انتصار المسلمين انتصاراً حاسماً، وتكبد الفونسو فيها خسائر فادحة، حتى أنه نجا من الموت في نفر قليل من جيشه بأعجوبة، بعد أن أصيب بجروح بليغة في فخذه، وعُدت هذه المعركة من معارك الإسلام الحاسمة في التاريخ، فقد أدى انتصار العرب المسلمين فيها إلى إنقاذ الحكم العربي الإسلامي في الأندلس من سقوط محقق، وكُتب للأندلسيين عُمراً جديداً فيها، وثبت أقادم المرابطين في تلك البلاد، ووحد المغرب والأندلس في ظل دولة واحدة فيما بعد [3].

الأوضاع في عهد ملوك الطوائف

وكانت الأندلس بعد معركة غرناطة تضم دويلات الطوائف التي لم تقم على أسس ثابتة قوية بل افتقرت إلى القاعدة التي تضمن لها الكيان السياسي القوي، كما أن صغر مساحة الدويلات وقلة عدد سكانها ، وعدم امتلاكها لقوة عسكرية تمكنها من الدفاع عن حدودها ، جعل منها دويلات ضعيفة شبيهة بالدولة الإقطاعية حتى ذلّ الرئيس والمرؤوس، وافتقرت الى الرعية و فسدت أحوال الجميع بالكلية ؛ فزالت من النفوس الأنفة الإسلامية[4].

أن للفونسو السادس الدور الكبير في إدارة الصراعات السياسية بين ملوك الطوائف مما أدى الى اختلال ميزان القوى بينهما وهذا بدوره يؤدي الى ضعفها وسقوطها مما يسهل عليه المضي قدما بعملية الاسترداد النصرانية التي هي التوجه الأساسي للنصارى منذ تكوين النواة الأولى لممالك النصرانية في الشمال ومن الغريب ان الأمير عبد الله ابن بلقين كان يعي جيدا أهداف الفونسو السادس إلا انه بقي عاجزا أمام تغير الأوضاع التي تمر بها الأندلس، التي وصفت بالضعف والعجز والخضوع للنصارى، وربما كان ذلك اسهل الحلول المتوفرة لديه[5].

لقد ساءت أحوال الأندلس بعد معركة الزلاقة بفترة حيث تمكن الفونسو السادس من استعادة قواه ومصالحته مع القائد الكنبيطور الذي بدأ ينفذ خطته التي رسمها له سيده الفونسو السادس لضم مشرق الأندلس وبالذات مدينة بلنسية كذلك استمر ملوك الطوائف في صراعاتهم وخلافاتهم ثم وصلت كتباً إلى يوسف بن تاشفين من قواد جيشه في الأندلس يطلعونه على أحوالهم وأن ملوك الطوائف لا يمدونهم بالمساعدة المطلوبة لأنهم منشغلون بترفهم ونزاعاتهم لذلك عزم على الجواز الثاني في الأندلس سنة (481هـ) وتوجه مباشرة إلى حصن لبيط وضرب عليه الحصار مع فلول من قوات أمراء الطوائف إلا أنهم لم يتمكنوا من فتح الحصن فانسحبوا بعد أن علموا أن الفونسو السادس في طريقه إليهم في قوات ضخمة مدعومة بقوات أخرى من أقطار أوروبية جاءت لمساعدته[6].

أقام يوسف بن تاشفين في الأندلس لفترة قصيرة حيث جدد وصاياه لملوك الطوائف، وترك قسماً من جيشه لدعم صمود أهل الأندلس، وعاد هو بالباقي من الجيش إلى المغرب.

ولكن عاد أمراء الطوائف إلى خلافاتهم من جديد، الأمر الذي جعل رعاياهم يمقتوهم لما كانوا يعانونه من حكمهم، ويتمنون الخلاص منهم وتسليم الأندلس ليوسف بن تاشفين لما لمسوه فيه من عدل ورغبة في الجهاد، لاسيما وأن علاقته مع هؤلاء الملوك بدأت تسوء لخشيتهم منه على كياناتهم، ولأنه كان ينكر عليهم العديد من تصرفاتهم كتراكم المغارم وتلاحق الضرائب والمكوس التي كانوا يفرضونها على رعاياهم وطلبه منهم إلغاء غير الشرعي منها وكانت هي الأكثر، فأنقبضوا عنه باستثناء المعتمد بن عباد ولهذه الأسباب، أخذت الكتب ترد إلى يوسف بن تاشفين من أهل الأندلس تتضمن فتاوي الفقهاء والعلماء بضرورة تخليص الأندلس من ملوك الطوائف وإنقاذها من شرورهم، كذلك وردت إليه فتاوي أخرى مماثلة من بعض كبار علماء المشرق تحمل نفس المضمون مثل أبي حامد الغزالي وأبو بكر الطرطوشي، وبناء عليه رأى يوسف بن تاشفين ضرورة العبور إلى الأندلس للمرة الثالثة في سنة 483هـ وأتجه إلى طليطلة عاصمة الفونسو السادس كتهديد له ثم بدأ بتنفيذ مخططه بخلع ملوك الطوائف فأتجه أولاً إلى غرناطة فاستسلم له ملكها عبد الله بن بلقين الصنهاجي وأرسله أسيراً إلى مدينة أغمات (المغرب الأقصى)، وكان صدى هذه الخطوة لدى الأندلسيين كبيراً إذ عمهم الابتهاج والسرور لأن يوسف بن تاشفين قد استجاب لهم في التخلص من أمراء الطوائف الذين فرقوا كلمتهم وأضعفهم عن التصدي لعدوهم[7].

عاد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بعد تسلم غرناطة إلى المغرب تاركاً مهمة استكمال خلع بقية ملوك الطوائف لبعض قادة جيشه وإرسالهم أسرى إلى المغرب، وبذلك تم القضاء على ملوك الطوائف وانضمت الأندلس لدولة المرابطين حيث بدأ عهد جديد من تاريخها (الأندلس ولاية مرابطية)[8].

وشهد الحكام فيما بينهم صراعات أدت الى تفاقهم الصراعات السياسية فعندما قرر ابن تاشفين و المعتمد رفع الحصار لعدم جدوته بسبب قلة أدوات و أسلحة الحصار و أراد ملاحقة الفونسو السادس و لما أخبر المعتمد أمراء الأندلس بهذا القرار اعترض عليه أمراء مرسيه، وثار عبد العزيز بن رشيق فرماه المعتمد بأنه متحالف سرا مع الفونسو وشهر على المعتمد سيفه ليبطش به فأمر ابن تاشفين بالقبض عليه و كان لهذه الحادثة الأثر الكبير في سير الحوادث حيث انقسم الصفان و تخلف عنهم جند مرسيه ثأرا لما حصل لأميرهم وساروا بقيادة زعمائهم الى حدود مرسيه و اعتصموا بشعب لجبال و قطعوا المؤن عن جيش المرابطين، وتمكن الفوسفو من تقويض أسوار الحصن لأن هذا الموقع الهام لا يمكن الدفاع عنه دون حامية كبيرة، وهذا مما زاد الأوضاع السياسية من فتور و خلل بسبب النزاعات السياسية بين القادة[9].

وبعد ان عاد المرابطين الى المغرب أصبح المتوكل يراسل الفونسو السادس يعرب له عن صداقته بعد ان رأى ما نزل بالأمير عبدالله صاحب غرناطه (483هـ/1090م) وسلم لالفونسو مدينة شنترين وبالمقابل على ان يدافع معه ضد الخطر الزاحف وبذلك نجد أهل بطليوس ارسلوا للمرابطين لإنقاذهم من أخطار ودخل المرابطين بطليوس وقضوا على دولة بني الافطس عام (487هـ/1094م) النصارى ولم يبقى منهم سوى ابن المتوكل المنصور الذي اصبح يدا من أيادي النصارى بعد ان سلم حصن شانجش القريب من قشتاله[10].

ازدادت الأوضاع إرباكا حيث القى ابن تاشفين القبض على تميم بن بلكين والي مالقة وبعث به سجينا الى أفريقيا، وقاد معرك صغيرة وسقطت قرمونة، وتعاون في هذه الأوقات العصيبة العدوان أمير أشبيلية و الفونسو لسادس و عقدوا أواصر الصداقة لمواجهه المعتمد، حيث دارت بينهم معركة حاسمة أصاب فيها المرابطون بالرغم من خسائرهم نصرا كبيرا مبينا، و أصبحت أشبيلية بعد فرار النصارى تحت رحمة المرابطين، وكانوا قد ضربوا الحصار حولها و فتحت أشبيلية عنوة بقيادة السير بن أبي بكر في رجب 484 ه. و بالنتيجة فان الأوضاع في الأندلس بعد المعركة كانت في اشدها بسبب اختلاف الملوك فيما بينهم، وكذلك تحالف البعض منهم مع العدو مما جعل البلاد ساحة للخلافات و المعارك لتصفية الحسابات و قادته من معركة الى أخرى[11].

سادت الأوضاع من عنف وقتل وحصار وجوع في بعض المدن في أثناء حصارها وسقوطها، لما ترتّب عليها من آثار اقتصادية صعبة، من شدّة الغلاء ووقوع النهب ونفاد الأقوات، واضطر النّاس لأكل الجيف وانتشار

الأوبئة وازدادت موجات الهجرة والنّزوح طلباً للأمان ، فقد بدأت موجات الهجرة الدّاخليّة تزداد وبخاصّة نحو مملكة غرناطة، فقد كان سكان المدينة التي تسقط يرتحلون إلى مدينة أخرى، فإذا سقطت ارتحلوا إلى غيرها، وكأنهم يغالبون الرّحيل النهائي عن الأندلس، حتى تجمّع الكثير منهم في غرناطة، ولم تتّسع غرناطة لكلّ هؤلاء المهاجرين، ومن أعظم النتائج خطرا سقوط دول الطوائف واندثارها على يد المرابطين، فقد جاء سقوط طليطلة نتيجة الضعف والخلافات بين دول الطوائف الذين استعانوا بالإفرنج لمحاربة بعضهم، وقد وجد الأذفونش (ألفونسو السادس) وبذلك فرصة للتدخل في شؤون ممالكهم والاشتطاط في الضرائب وأذلالهم[12].

لقد لعبت السياسة التي انتهجها ملوك الطوائف اتجاه بعضهم دورا فاعلا في تمكن حكام الممالك الإسبانية من إضعاف الممالك الإسلامية في الأندلس، فكانت لسياسة ضرب بعضهم ببعض والتحالف مع بعضهم ضد بعض الدور الرئيس في إسقاط دويلات الطوائف وتدخل القوى المغربية التي أتت فيما بعد لتنهي وجود ملوك الطوائف في الأندلس.

الاوضاع في عهد المرابطين

شهدت الأندلس منذ سيطرة المرابطين عليها صراعات كثيرة فيما بينهم وبين الممالك الإسبانية بزعامة الفونسو السادس ملك قشتالة، وكان يحرك هذا الصراع باستمرار فكرة الجهاد التي كان المرابطون قد أشبعوا بها وكانت ركناً من أركان قيام دوليتهم من ناحية، وشعور الفونسو السادس الذي كان هو الآخر مشبعاً بالروح الصليبية، وأن وجود المرابطين في الأندلس قد افسد عليه تدبيره ووقف حائلاً دون تحقيق طموحاته وأهدافه من ناحية ثانية، وكانت الحرب في هذا الصراع المحتدم سجالاً بين الطرفين أحرز المرابطون فيه انتصارات كبيرة كما ذاقوا أحياناً مرارة الهزيمة[13].

ولم يكن هذا الواقع السياسي المهترئ سوى انعكاس للوضع الاقتصادي السيء الذي أفرزته اعتداءات الفونسو، الذي شكل قوة ضغط على ملوك الطوائف، وقيامهم بجولاته العسكرية تعود كل مرة محملة بالضرائب، كما أصبح الفونسو من أكبر الوجوه التي ستضاعف الزحف المسيحي ، ولعل تلقيب نفسه بذي الملّتين يؤيد هذا المعنى ، ويدلل أيضاً على عزمه استرجاع الأندلس برمتها ، وقد ظل الأمر على هذا النحو حتى قدوم المرابطين[14].

وقد كان لعلماء الدين دورا في تغيير الواقع السياسي الذي تعيشه الأندلس من خلال بث الفتاوي، فقد أفتى أبو بكر الطرطوشي بجواز تنحية ملوك الطوائف عن حكمهم وسانده في ذلك علماء المشرق وعلى رأسهم الإمام الغزالي، الذي أفتى بضرورة تنحية ملوك الطوائف ، ورأى أن الإبقاء عليهم لا يتوصل معه إلى واجب الجهاد[15].

وفتوى الإمام الغزالي تدل على أن أمر الأندلس ليس مقتصراً على مسلمي الأندلس حدهم، وإنما هي قضية جميع المسلمين، الحريصين على بقاء دولة الإسلام في تلك البقعة من العالم، وعدم جواز التفريط بالأرض للنصارى المتربصين لكل فرصة للاستيلاء على الأندلس[16].

وبرز دورهم من خلال تذليل الصعوبات أمام يوسف بن تاشفين بفتاويهم لإسقاط ملوك الطوائف، وتقديم الأندلس على طبق من ذهب إليه بعد أسقاط الطوائف ، وموقف العلماء هذا كان له غايات عدة منها :حرص البعض على الأرض الإسلامية والمسلمين من خطر النصارى ، وتوحيد المغرب والأندلس ؛ ليكونا قادرين على الوقوف أمام الأطماع التوسعية النصرانية ، أما الغاية الأخرى فقد ترجع إلى المصلحة الشخصية[17].

وبعد وفاة يوسف بن تاشفين في نفس العام (528 هـ/1134م)، وهكذا تواصل دعم المرابطين للمسلمين في الأندلس ودفاعهم المجيد عنه التي احتلت مكانة مميزة في فكر سلاطين المرابطين، إلى أن أخذت دولتهم تترنح أمام ضربات الموحدين القوية، الأمر الذي شغلهم عنها بمواجهة هذه القوة الجديدة التي ظهرت في الجنوب الغربي من المغرب الأقصى وأخذت تضغط بشدة عليهم[18].

كان لانشغال المرابطين بمواجهة الموحدين أثره السيئ بلا شك على الأندلس، فقد استغلت الممالك الإسبانية هذا الوضع خلال الفترة الانتقالية بين عهدي الدولتين حيث فقدت النصير طوال تلك الفترة فأخذوا يشنون هجمات

متلاحقة على المسلمين في نواحي مختلفة من الأندلس، بعد أن ضعف المرابطون من التصدي لهم، وقد أحرزت القوات الإسبانية مدعومة بقوات أوروبية من الانتصار في عدة معارك على المرابطين، بحيث أن جيوشهم المهاجمة كانت حملات صليبية بكل معنى الكلمة والتي تمكنت من الاستيلاء على بعض المدن الأندلسية منها طرطوشة، سرقسطة، لاردة وغيرها[19].

وهكذا ظلت الأمور تسير في الأندلس من سيء إلى أسوأ طول الفترة الانتقالية لاسيما وأن بعض رؤساء الأندلس قد أعلنوا ثوراتهم على المرابطين واستقلوا في مدنهم ثم بايعوا عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين، وبعد صراع مرير بين المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس طويت صفحة دولة المرابطين، لتحل محلها دولة الموحدين التي خلقتها في النهوض بأعباء الجهاد في الأندلس (540-632هـ/ 1145-1233م) [20].

أزداد ضغط الممالك الإسبانية على المدن الأندلسية بسبب انشغال الخليفة الموحدي بحركة بني غانية، فهاجم ملك البرتغال شانجو الأول مدينة شلب كذلك هاجم الفونسو الثامن ملك قشتالة مناطق أخرى، الأمر الذي جعل الخليفة المنصور الموحدي يُسرع في إعداد جيش ضخم عبر به إلى الأندلس سنة (586هـ/1190م) وأتجه به إلى مدينة شلب وهاجمها إلا أنه لم يتمكن من فتحها لحصانتها، ثم أخذ يلاحق الفونسو الثامن ملك قشتالة، الأمر الذي اضطره إلى طلب الهدنة مع الموحدين لمدة خمس سنوات، ثم توجه بعد فترة فهاجم مدينة قصر أبي دانس وفتحها سنة (587هـ/1191م) ثم عاود هجومه على مدينة شلب وفتحها أيضاً، وعاد إلى مدينة اشبيلية عاصمة الأندلس في زمن الموحدين ليشرف بنفسه على تنظيم أمور الأندلس الدفاعية العسكرية والإدارية ثم عاد إلى مراكش ولكن لم يهمل أمر الأندلس، بل واصل اهتمامه بها وبدعم قدراتها الدفاعية تحسباً لأي طارئ[21].

حيث التقى الفريقان في معركة طاحنة في 14 صفر (609هـ/16 تموز 1212م) عرفت بمعركة العقاب جنوبي قلعة الرباح أسفرت عن هزيمة منكرة للمسلمين، كان من أهم نتائجها زعزعة مكانة الموحدين في الأندلس، إذ لم يقوى بعدها على الوقوف في وجه الممالك الإسبانية وردع أعمالهم العدوانية، بل يمكن القول أن هذه الهزيمة كانت بداية نهاية الوجود الموحدي في الأندلس، وليس ذلك فحسب، بل بداية النهاية لدولة الموحدي نفسها، فنشط الفونسو الثامن في قطف ثمرة انتصاره في هذه المعركة، وأخذ يهاجم الأندلس بشكل متواصل وبدون مقاومة ، فاستولى على بعض المدن والحصون[22].

وأما الخليفة الناصر فعاد بعد هذه الهزيمة إلى مراكش حيث توفي (610هـ/1213م)، ربما كمداً وحزناً على الهزيمة التي لحقت به، حيث خلفه ابنه يوسف المستنصر، الذي عقد معاهدة مع الفونسو الثامن لاتقاء شره، وبذلك رجحت كفة الممالك الإسبانية في هذا الصراع وبدأ نجم الدولة الموحدي بالأفول، فأخذت تسير إلى الانحلال، بخطى سريعة، وانشغلت بنفسها عن الجبهة الأندلسية[23].

وفي 634 ه ارتحل الأندلسيّون عن بلادهم، نتيجة لاختلال الأوضاع السّياسيّة في الأندلس، وما عانوه من خوف وقلق، بسبب استباحة دمائهم وأراضيهم وأعراضهم، وقد ساهمت البيئات الجديدة في توجيه سلوكيات المرتحلين وجهات معيّنة، فبدأوا يتقرّبون إلى ذوي الشّأن من الحكّام والأمراء والقضاة والوزراء طالبين منهم النّصرة في ديارِ غربتهم الجديدة، ورفع الضّيمَ الذي لحق بهم، فكان الملوك الأيوبيّون عند حسنِ ظنّهم[24].

توفي الفونسو الثامن وخلفه على عرش قشتالة فرناندو الثالث الذي كان أكثر طموحاً من سلفه وأخذ يهاجم الثغر الأدنى (خط الدفاع الثالث) بعنف وأخذ ملك أراغون يهاجم شرق الأندلس بقوة مماثلة فسقطت في يد ملك قشتالة مدن الثغر الأدنى مثل أشبيلية سنة 645هـ/1245م، ثم استولى خايمه الأول على بلنسيه، تلتها دانية، وجزر البليار، مما أضطر أهل الأندلس إلى طلب المساعدة من الحفصيين في تونس التي كانت محدودة، وهكذا تركت الأندلس تواجه مصيرها التعس دون نصير، رغم ظهور قوى جديد بنو زيان بالمغرب الأوسط، وبني مرين في المغرب الأقصى، وتمكن الأندلسيون من تأسيس مملكة جديدة هي مملكة غرناطة (635-897هـ/ 1238-1492م)[25].

فقد كانت سياسة المرابطين في الأندلس كمسلمين ملتزمين بدينهم سياسة مبنية على نشر الإسلام و الحضارة و التسامح، اما القشتاليون فقد كانت سياستهم صليبية مبنية على الهمجية و الغدر فقد قاموا بالتعنيف و التعصيب ضد الأسرى و نقض العهود و قيامهم بحرق القرى و الزروع [26].

وعندما تولى علي بن يوسف بن تاشفين الحكم بعد ابيه ورغم أنه لم يكن قد تجاوز الثانية والعشرون من عمره الا انه أثر في حكمه كثيرا من الحكمة والعدالة مما اكسبه محبة كبيرة من شعبه[27].

وقاد جيشه الى اسبانيا عدة مرات منها عبور عام 501ه/ 1108م وعهد بالقيادة الى أخيه الأكبر تميم الذين عين واليا لاشبيلية فسار بجيش ضخم الى حدود النصارى و حاصر قلعة اقليش المنيعة، فارسل الفونسو السادس ابنه الوحيد سانشو لفك الحصار عنها و تقاتل الطرفان، وانتصر المرابطين في اقليش و من ذلك بدأت قوتهم تنحدر عاما بعد عام كما بدأت روح الثورة و الخروج بسلطانهم تلوح بالأفق وفي عام 512ه سقطت سرقسطة في يد النصارى بعد دفاع مشرف من سكانها الذين وصلتهم نجدة متأخرة من المغرب، ورد أبو الطاهر تميم الإسبان النصارى عن لوردة بعد ان كبدهم خسائر جسيمة [28].

وفي عام 513ه استولى النصارى على قلعة أيوب فجاز علي بن يوسف مرة أخرى الى الأندلس و فتح سنمتريه وفي نفس العام ظهر بمدينة سوس في المغرب الأفريقي المهدي بن تومرت و جرت بظهوره أحداث خطيرة أثرت كثيرا في الأوضاع السياسية[29].

وبسبب سوء الأوضاع السياسية في الأندلس والتي شكلت سببا مباشرا في سقوط دولة المرابطين واحتلال الموحدين لها، وذلك بسبب حياة الرفاه التي دبت في لمرابطين بعد فتح الأندلس ولما هاجم الموحدون المرابطين في لمغرب لم يستنجد المرابطون بجيشهم المتواجد في الأندلس في الوقت المناسب بسبب انشغال الجيش في حروبه مع النصارى وانتهز سكان الأندلس فرصة هجوم النصارى على الثغور الشمالية و فرصة اضطراب الأحوال في المغرب فطردوا ولاة المرابطين[30].

وفي سنه 516هـ بدأ النصارى المعاهدون بالأندلس يثيرون الفتن باستدعاء ابن ردمير الفرنجي وتقويته على المسلمين، فصال وجال في بلاد المسلمين نهبا وقتلا وتدميرا ورجع إلى بلاده دون الاستلاء على شيء منها، فجاز على إثر ذلك القاضي أبو الوليد بن رشد (ت520هـ) إلى علي بن يوسف بن تاشفين بمراكش وطلب منه التدخل، وأفتاه بتهجير المعاهدين لما قاموا به من الخيانة ونقض العهود، فنفاهم إلى مكناسة وسلا وغيرها من بلاد المغرب، كما طلب منه القاضي عزل أخيه أبي الطاهر تميم، أمير غرناطة وقائد الجيوش المرابطة بالأندلس[31].

في سنة 522هـ عين علي بن تاشفين ابنه تاشفين واليا للأندلس؛ إذ ولاه غرناطة، وألمرية، وقرطبة وخاض بعدها المرابطون عدة معارك انتصروا فيها على قشتالة وأرغون[32].

وفي سنة 528هـ جهز ملك قشتالة ألفونسو السابع جيشاً ضخماً، واتجه صوب بطليوس، والتقى بهم تاشفين بن علي قرب سهل الزلاقة وهزمهم كما هزمهم في مواقع أخرى و ثارت بلنسية سنة 535 هـ ومرسية، فاشتعلت نار الثورات في الأندلس من شرقها إلى غربها، فقامت ثورة في ميرتلة وشلب وباجة وغرناطة وقرطبة سنة 539هـ[33].

ومن خلال ما عرضنا نرى ان الأوضاع السياسية مرت بثلاث مراحل هي:
الأولى: وتمتد من عبور يوسف بن تاشفين للأندلس للمرة الثالثة سنة 483هـ إلى ظهور دعوة المهدي بن تومرت سنة 514هـ. واتسمت هذه المرحلة بقوة المرابطين، واتساع فتوحاتهم وحيازتهم للمدن الأندلسية[34].

المرحلة الثانية: من ظهور دعوة الموحدين إلى وفاة علي بن يوسف بن تاشفين سنة 537هـ. والمعالم الواضحة لهذه المرحلة هي كثرة الفتن والصراعات مع الموحدين من جهة، ومع الثورات الداخلية بالأندلس من جهة أخرى، ومع الصليبيين الذين أعلنوا عن حروب الاسترداد من جهة ثالثة.

المرحلة الثالثة: وهي بعد وفاة علي بن يوسف بن تاشفين سنة 537هـ إلى مقتل آخر أمراء المرابطين وهو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تاشفين سنة 541هـ. وهي مرحلة ضعف وانكماش الدولة المرابطية، واجتياح الموحدين لبلاد المغرب[35].

الخاتمة

من أبرز النتائج التي توصلت اليها في نهية البحث هي:

- من المساهمات المهمة للعلماء في الحياة السياسية إقناع يوسف بن تاشفين بالقضاء على ملوك الطوائف، وتذليلهم الصعاب له؛ للقضاء عليهم بالفتاوي العديدة، التي تؤكد على جواز ذلك وعدم مخالفته للشريعة الإسلامية.
- ظهر الدور السياسي البنّاء للعلماء من خلال إقناعهم ملوك الطوائف بالوحدة، والعمل معاً لمواجهة الأخطار النصرانية، ثم طلب العون من المرابطين في المغرب على الرغم ما يمثله ذلك الطلب من مجازفة بمستقبلهم السياسي.
- بينما كانت الأندلس تعاني من هذا الوضع المزرِ كان النصارى الإسبان في الشمال –بالمقابل- يعملون على توحيد قواتهم بمساندة فرنسا والبابوية للانقضاض على العرب المسلمين وطردهم من الأندلس.
- ظهور الأحقاد السياسية الطامعة بالسلطة من زعماء ورؤساء متنفذين في مدن الأندلس والتفاف أعداد من الموالين والمؤيدين لهم.
- كان للممالك الإسبانية دور بارز وأثر مهم في تدهور الأوضاع وضعف الخلافة لكثرة الاعتداءات الحربية على الثغور الأندلسية وعدم التزام ملوك الإسبان بالعهود والاتفاقيات المعقودة مع حكام الأندلس فضلا عن دور الممالك في التحريض على أعمال الشغب والفتنة في داخل الأندلس.

المراجع

1- إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
2- ابن الاثير علي بن بي الكرم، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، 1978م.
3- ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، 1956م.
4- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق: احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مربد، 1971م.
5- ابن عذاري المراكشي، أبي عبد الله محمد بن محمد (المتوفى: نحو 695 هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة: 1983 م.
6- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ط1، 1981م.
7- ابو بكر الطرطوشي، كتاب الحوادث والبدع، تحقيق: محمد الطالبي، تونس، 1959م.
8- أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م.
9- أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (المتوفى: 578 هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي. الطبعة: الثانية، سنة: 1374 هـ/ 1955 م.
10- أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت. الطبعة: الثانية، سنة: 1408 هـ - 1988 م.
11- أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبي جعفر الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي – القاهرة، 1967 م.
12- احمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م.
13- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، المؤلف مجهول، تحقيق: سهيل زكار، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1 ، سنة 1399 هـ – 1979م.

14- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1984م.
15- دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الاسلام، مطبعة بيروت، بيروت، 1988م.
16- الزركشي ابو عبد الله محمد، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماصور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.
17- سعيد عاشور، الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية، مجلة عالم الفكر، الكويت، 1980م.
18- شهاب الدين أبي العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري/ محمد الناصري. الناشر: دار الكتاب - الدار البيضاء.
19- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت.
20- عبد الرحمن على حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم دمشق، سنة 1433هـ/ 2012م.
21- عبد الله بن بلقين، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م.
22- ليفي بروفنسال، التبيان، مطبعة القاهرة، مصر، 1955م.
23- محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1969م.
24- المراكشي محي الدين عبد الواحد، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م.
25- يوسف بن عبد الله بن عبد البر، القصد والامم في التعريف بأصول انساب العرب، طبعة القاهرة، مصر، 1350ه.

[1] عنان، دول الطوائف، ص32.
[2] ينظر: عنان، دول الطوائف، ص12.
[3] ابن عبد البر، القصد والأمم، ص35.
[4] ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس، ص77.
[5] ابن بلقين، مذكرات الامير عبد الله، ص70.
[6] ابن بسام، الذخيرة، ص45.
7 ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ص244.
[8] ابن عبد البر، القصد والأمم، ص35.
[9] العبادي، معركة الزلاقة، ص59.
[10] ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص184.
[11] دندش، دور المرابطين في نشر الاسلام، ص32.
[12] الحميري، الروض المعطار، ص67.
[13] ليفي بروفنسال، التبيان، ص18.
[14] ابن بلقين، التبيان، ص73.
[15] محمود مكي، تاريخ الاندلس السياسي، ص613.
[16] ابن الاثير، الكامل، ج8، ص294.
[17] سعيد عاشور، الحياة الاجتماعية، ص93.
[18] الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص43.
[19] ضياء باشا، الاندلس الذاهبة، ج3، ص53.
[20] الطرطوشي، كتاب الحوادث والبدع، ص94.
[21] ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ص153.
[22] ابن عبد الحكيم، فتوح افريقيا والاندلس، ص90.
[23] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص120.
[24] اشباح، تاريخ الاندلس، ص123.
[25] الحلل الموشية، ص56.
[26] ابن الاثير، الكامل، ص765.
[27] المقري، نفح الطيب، ص142.
[28] احمد العبادي، تاريخ المغرب والاندلس، ص72.
[29] ابن عذاري، البيان المغرب، ص42.
[30] شوقي خليل، معركة الزلاقة، ص78.
[31] الحلل الموشية، ص66.
[32] الاستقصاء، ج2، ص70.
[33] ابن خلدون، التاريخ، ج4، ص212. التاريخ الاندلسي، ص471.
[34] الضبي، بغية الملتمس، ص162.
[35] المعجب، ص130.